بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على رسول الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله .

وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ.

أمّا بعد :

فهذه محاضرة بعنوان : (معالم في صلاح القلوب).

ألقيتها عبر الهاتف، لأخواني في دار الحديث، الإمام مالك، بمدينة القباب، بالمغرب.

وذلك مساء السبت ٧/ ٣/ ١٤٣٩هـ، وذلك بالتنسيق مع فضيلة الشيخ أبي عبدالودود البيضاوي، جزاه الله خيراً، سائلاً الله أن يجعل جهده في موازين حسناته.

وقد أدرتها على المحاور التالية:

المحور الأول : معالم صلاح القلوب في التعامل مع الله.

المعلم الأول : أن يكون المسلم في مقام المشاهدة أو المراقبة لله تعالى.

المعلم الثاني: القيام بالعبادات الفرائض والنوافل.

المعلم الثالث: الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى.

المحور الثاني : معالم صلاح القلوب في التعامل مع النفس.

المعلم الأول : الاستبراء من الشبهات.

المعلم الثاني: الحذر من وساوس الشيطان، وذلك بالمحافظة على تحصين النفس بذكر الله.

المعلم الثالث : أن يتجنب فتنة الشبهات وفتنة الشهوات.

المعلم الرابع : تعظيم شعائر الله، والاعتبار بما جرى للأمم السابقة.

المعلم الخامس : مراعاة أحوال النفس، وتدبيرها مع الجسد.

المحور الثالث : معالم صلاح القلوب في التعامل مع الآخرين.

المعلم الأول: الإحسان إلى المسلمين وحسن التعامل معهم.

المعلم الثاني: الجلوس إلى العلماء وطلب العلم عليهم.

المعلم الثالث : الدعوة والجهاد .

وقدمت بين يديها ، الحديث عن أهمية الموضوع. وبالله التوفيق.

أهمية الموضوع:

الحديث عن صلاح القلب، حديث يحتاجه المسلم، الذي يؤمن بالله وباليوم الآخر؛ فقد ذم الله المنافقين ووصفهم بمرض القلوب كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ١٠).

ووصفهم بزيغ القلوب؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

وضرب الله مثلاً لقلب المشرك الذي يتنازعه الشرك، بخلاف قلب المؤمن السالم من هذه المنازعة والمشاكسة بتوحيد الله رب العالمين!

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٢٩).

فصلاح القلوب هو سلامتها من نوازع الشرك والهوى وأمراض القلوب، وذلك يكون بتحقيق أمرين :

- الإخلاص لله تعالى.
- المتابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨- ٨٩)، فالمراد سليم من الشرك، سالماً للمتابعة، و لا يضره بإذن الله الذنوب والمعاصي، فإنه لا يكاد أحد يخلو منها، وهي تحت المشيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨).

وكل ما يذكر في صلاح القلوب وسلامتها يعود إلى تحقيق هذين الأصلين.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وَاصل صَلَاح الْقلب صَلَاح ارادته وَنِيَّته فَإِن لم يصلح ذَلِك لم يصلح الْقلب وَالْقلب هُوَ المضغة الَّتِي اذا صلحت صلح لَهَا سَائِر الْجَسَد واذا فَسدتْ فسد لَهَا سَائِر الْجَسَد"اهـ[1].

والدين المعاملة؛ فيه معاملة المسلم مع ربه. ومعاملة المسلم لنفسه. ومعاملة المسلم مع إخوانه وبني جنسه. وهذه أهم المعاملات؛ فصلاح القلب يكون بتحقيق ما جاء في الدين في هذه المجالات:

التعامل مع الله.

والتعامل مع النفس.

والتعامل مع الآخرين.

ف﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

وإذا صلح القلب وجد حلاوة الإيمان، وهي الحاصلة من هذه المعاملات؛

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ:

أَنْ يَكُونَ اللهَّ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا. (وهذا التعامل مع الله).

وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهَِّ. (وهذا التعامل مع الناس).

وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ (وهذا التعامل مع النفس"[2].

وسأعرض معالم صلاح القلوب من خلالها؛

---

(١) الاستقامة (٢/ ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري تحت رقم (١٦)، ومسلم تحت رقم (٤٣)،

المحور الأول : معالم صلاح القلوب في التعامل مع الله.

ومعالمه هي التالية:

المعلم الأول : أن يكون المسلم في مقام المشاهدة أو المراقبة لله تعالى.

فيحقق مقام الإحسان في تعامله مع الله ، ففي حديث جبريل عليه السلام لما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"(١).

فيكون المؤمن بين الرجاء والخوف.

لا يأمن على نفسه .

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ " فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ: " يَا مُقَلِّبَ

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ تحت رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان تحت رقم (٩ و ١٠). وانفرد مسلم بخراجه عن عمر رض الله عنه في الباب نفسه تحت رقم (٨). ولفظه عند البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: " الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ

الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ " . قَالَ: " وَمَا يُؤْمِنِّي ، وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ"(١) .

هذا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلم أمته ذلك، لتصلح قلوبهم.

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَثِيرًا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ: «لاَ وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ»(٢) .

وهذا يفيد دوام تذكر الرسول ﷺ لذلك وتذكيره للمؤمنين بهذا الأمر.

عن عَبْد اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ "(٣) .

المعلم الثاني لصلاح القلوب في التعامل مع الله: القيام بالعبادات الفرائض والنوافل؛

فإن معنى إصلاح القلوب ملحوظ في كل العبادات فرائضها ونوافلها؛

فالصلاة صلة بين العبد وربه، تصلح قلبه؛

قال تبارك وتعالى عن الصلاة: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

فالصلاة فيها ذكر الله تعالى، وهو أكبر مما فيها من أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) أخرج أحمد في المسند (الرسالة ٤٣/ ٢٣٠، تحت رقم ٢٦١٣٣). قال محققو المسند: "صحيح لغيره"اهـ

(٢) أخرجه البخاري تحت رقم (٦٦١٧).

(٣) أخرجه مسلم تحت رقم (٢٦٥٤).

والزكاة فيها تزكية نفس المؤدي لها وماله.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣).

والصوم عبادة الصبر، والصبر تزكية وصلاح للقلب.

قال ابن القيم رحمه الله: "لَمَّا كَانَ **صَلَاحُ الْقَلْبِ** وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَمِّ شَعَثِهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعَثَ الْقَلْبِ لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَفُضُولُ الْمَنَامِ، مِمَّا يَزِيدُهُ شَعَثًا، وَيُشَتِّتُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضْعِفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ، اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصَّوْمِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْمُعَوِّقَةِ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرْعِهِ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ، بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ.

وَشَرَعَ لَهُمُ الِاعْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْوَةُ بِهِ، وَالِانْقِطَاعُ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ"اهـ(١).

والحج خروج لله تعالى وقصد مكة والمشاعر المقدسة في أشهر معلومات، عبادة مالية وجسدية، يتجرد القلب فيها لله تعالى.

وهذا يحبه الله من العبد؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٨٢).

سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"(١).

المعلم الثالث لصلاح القلوب في التعامل مع الله: الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى.

ذكره بالقيام للعبادة.

وذكره بالإخلاص فيها والمتابعة.

وذكره باللسان بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ، وسائر ألفاظ الذكر الواردة.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه: ١٢٤ – ١٢٧).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧)؛ والقلوب هي التي في الصدور.

وصلاح القلب بهدايته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الشورى:٤٢) . وذلك باتباع شرع الله تعالى.

والقرآن العظيم كلام الله أفضل ما يذكر الله به سبحانه بأنواع الذكر الثلاثة؛

ذكر العبادة. وذكر الإخلاص والمتابعة. وذكر اللسان.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ

(١) أخرجه البخاري تحت رقم (٦٥٠٢).

وَالشَّهَوَاتِ؛

فَفِيهِ مِنْ الْبَيِّنَاتِ مَا يُزِيلُ الْحَقَّ مِنْ الْبَاطِلِ، فَيُزِيلُ أَمْرَاضَ الشُّبْهَةِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعِلْمِ وَالتَّصَوُّرِ وَالْإِدْرَاكِ، بِحَيْثُ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

وَفِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَالْقَصَصِ الَّتِي فِيهَا عِبْرَةٌ مَا يُوجِبُ صَلَاحَ الْقَلْبِ فَيَرْغَبُ الْقَلْبُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَرْغَبُ عَمَّا يَضُرُّهُ فَيَبْقَى الْقَلْبُ مُحِبًّا لِلرَّشَادِ مُبْغِضًا لِلْغَيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُرِيدًا لِلْغَيِّ مُبْغِضًا لِلرَّشَادِ"اهـ[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩٥).

المحور الثاني : معالم صلاح القلوب في التعامل مع النفس.

وفيه صلاح القلب، ومعالمه هي التالية:

المعلم الأول : الاستبراء من الشبهات.

عن النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهَّ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ"(١).

فمما يصلح القلب الأخذ بالحلال وترك الحرام والاستبراء من الشبهات.

المعلم الثاني لصلاح القلب في معاملة النفس: الحذر من وساوس الشيطان، وذلك بالمحافظة على تحصين النفس بذكر الله.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ".

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهَّ فَلْيَحْمَدِ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهَّ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: ٢٦٨) الآية"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري تحت رقم (٥٢)، ومسلم تحت رقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي تحت رقم (٢٩٨٨)، وابن حبان تحت رقم (الإحسان ٩٩٧). وقال الترمذي: ": «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَهُوَ حَدِيثُ أَبِي الأَحْوَصِ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الأَحْوَصِ"اهـ. والحديث صححه لغيره الألباني في صحيح موارد الظمآن ، وقد

=

المعلم الثالث : أن يتجنب فتنة الشبهات وفتنة الشهوات.

وفتنة الشهوات المعاصي؛

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْت الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا

قال الله تعالى : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾، وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب. وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ومثل الدغل في الزرع فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن(١).

عَنْ حُذَيْفَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى

=

صح الحيث موقوفاً من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، ومثله لا يقال بالرأي، فله حكم الرفع، كما حرره وأجاد الشيخ أحمد شاكر حمه الله في تخريجه لأحاديث تفسير الطبري (٥/ ٥٧٢ – ٥٧٥)، وقد اشار إلى صحته لغيره مرفوعا.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨).

(٢) أخرجه مسلم تحت رقم (١٤٤).

تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ" ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤)"(١).

ومن الشهوات ما جاء في هذا الحديث؛

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ: طُولُ الْحَيَاةِ، وَحُبُّ الْمَالِ"(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ:

قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ. وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ. وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ. وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ؛

فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ؛ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ؛ فَقَلْبُ الْكَافِرِ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ؛ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ، ثُمَّ أَنْكَرَ.

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ؛ فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ"(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (الرسالة ١٣/ ٣٣٣، تحت رقم ٧٩٥٢)، والترمذي تحت رقم (٣٣٣٤)، وابن ماجه تحت رقم(٤٢٤٤)، وابن حبان (الإحسان ٣/ ٢١٠، تحت رقم ٩٣٠)، والحاكم (٢/ ٥١٧). والحديث قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"اهـ، وصححه ابن حبان والحاكم، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، حديث رقم (١٠٤٦).

(٣) أخرجه أحمد (الرسالة ١٧/ ٢٠٨، تحت رقم ١١١٢٩). وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ٢٦٣، تحت رقم ٥١٥٨).

=

وفتنة الشبهات أن لا يجالس أهل البدع، ويحذر منها ومنهم، فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة.

ويتحصل له تجنب الشبهات والشهوات؛ بمحاسبة النفس.

قال ابن القيم رحمه الله: "أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها. وفى محاسبة النفس عدة مصالح ؛

منها: الاطلاع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عيبها مقتها فى ذات الله تعالى.

ومن فوائد محاسبة النفس : أنه يعرف بذلك حق الله تعالى ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدى عليه وهي قليلة المنفعة جدا "اهـ[1].

المعلم الرابع : تعظيم شعائر الله، والاعتبار بما جرى للأمم السابقة. والتفكر في القرآن العظيم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْن مَسْعُود: لاتهذوا الْقُرْآن هَذَا الشّعْر وَلَا تنثروه نثر الدقل وقفُوا عِنْد

=

وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٥٠٤، تحت رقم ١٤٣٩)، وفي حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٧٦)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٦٩٦، تحت رقم ٩٢٩)، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، موقوفاً عليه. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، موقوفاً عليه. وهذا مما يقوى المرفوع، ويجعله في حيز الحسن ، والله اعلم.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨٤، ٨٨).

عجائبه وحركوا بِهِ الْقُلُوب لَا يكن هم احدكم آخر السُّورَة.

وروى أبو ايوب عَن ابي جَمْرَة قَالَ: قلت لِابْنِ عَبَّاس: اني سريع الْقِرَاءَة إِنِّي اقرا الْقُرْآن فِي ثَلَاث؟ قَالَ: لَان اقْرَأ سُورَة من الْقُرْآن فِي لَيْلَة فأتدبرها وأرتلها احب الي من ان اقْرَأ الْقُرْآن كَمَا تقْرَأ .

والتفكر فِي الْقُرْآن نَوْعَانِ:

تفكر فِيهِ ليَقَع على مُرَاد الرب تَعَالَى مِنْهُ .

وتفكر فِي مَعَانِي مَا دَعَا عباده الى التفكر فِيهِ؛

فالاول تفكر فِي الدَّلِيل القرآني.

وَالثَّانِي تفكر فِي الدَّلِيل العياني.

الاول تفكر فِي آيَاته المسموعة.

وَالثَّانِي تفكر فِي آيَاته المشهودة؛

وَلِهَذَا انْزِلْ الله الْقُرْآن ليتدبر ويتفكر فِيهِ وَيعْمل بِهِ لَا لمُجَرّد تِلَاوَته مَعَ الاعراض عَنهُ.

قَالَ الْحسن الْبَصْرِيّ : انْزِلْ الْقُرْآن ليعْمَل بِهِ فاتخذوا تِلَاوَته عملا"اهـ(١).

المعلم الخامس : مراعاة أحوال النفس، وتدبيرها مع الجسد.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله : "من تدبر وَيَقَظَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَدَهُ أَعْدَلَ نَوْمٍ، وَأَنْفَعَهُ لِلْبَدَنِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى، فَإِنَّهُ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي، فَيَقُومُ وَيَسْتَاكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، فَيَأْخُذُ الْبَدَنُ وَالْأَعْضَاءُ، وَالْقُوَى حَظَّهَا مِنَ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، وَحَظَّهَا مِنَ الرِّيَاضَةِ مَعَ وُفُورِ الْأَجْرِ، وَهَذَا غَايَةُ صَلَاحِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ من القدر الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَكَانَ يَفْعَلُهُ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ"اهـ(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٨٧).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ١٧٨-١٧٩).

المحور الثالث : معالم صلاح القلوب في التعامل مع الآخرين.

وصلاح القلب في التعامل مع الناس، في المعالم التالية:

المعلم الأول: في الإحسان إلى المسلمين وحسن التعامل معهم؛

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ".

وزاد في رواية: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ".

وفي رواية: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"(١).

قال النووي رحمه الله: "مَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى: أَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ لَا يَحْصُلُ بِهَا التَّقْوَى وَإِنَّمَا تَحْصُلُ بِمَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ عَظَمَةِ الله تعالى وخشيته ومراقبته.

ومعنى : "نظر الله" هُنَا مُجَازَاتُهُ وَمُحَاسَبَتُهُ أَيْ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ على ما في الْقَلْبِ دُونَ الصُّوَرِ الظَّاهِرَةِ. وَنَظَرُ اللهِ رُؤْيَتُهُ محيط بكل شيء.

وَمَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ الِاعْتِبَارَ فِي هَذَا كُلِّهِ بِالْقَلْبِ وَهُوَ مِنْ نَحْوِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِلَّا أَنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ الْحَدِيثَ"."اهـ(٢).

---

(١) أخرجه مسلم تحت رقم (٢٥٦٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٢١).

المعلم الثاني : الجلوس إلى العلماء وطلب العلم عليهم.

ففي الموطأ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ: "أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي اللهُ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ "

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: "إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ "(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ"(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأصل صَلَاح الْقلب هُوَ حَيَاته واستنارته قَالَ تَعَالَى: ﴿أَو من كَانَ مَيتا فاحييناه وَجَعَلنَا لَهُ نورا يمشي بِهِ فِي النَّاس كمن مثله فِي الظُّلُمَات لَيْسَ بِخَارِج مِنْهَا﴾.

فلذلك ذكر الله حَيَاة الْقُلُوب ونورها وموتها وظلمتها فِي غير مَوضِع كَقَوْلِه: ﴿لينذر

---

(١) أخرجه أحمد (الرسالة ٦/ ٨٤، تحت رقم ٣٦٠٠). وحسنه محققو المسند.

(٢) أخرجه أحمد (الرسالة ١١/ ٢٣٥، تحت رقم٦٦٥٥). والشطر الأول في الحديث يشهد له حديث: "فرب مبلغ أوعى لها من سامع"، والشطر الثاني أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها تحت رقم (٥٩٤) بلفظ: "ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهي". وقد ذكر محققو المسند للحديث طرقاً، يرتقي بها مع ما تقدم إلى درجة الحسن لغيره. والله الموفق.

من كَانَ حَيا ويحق الْقَوْل على الْكَافرين﴾.

وَقَوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا اسْتجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذا دعَاكُمْ لما يُحْيِيكُمْ﴾ ثمَّ قَالَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَن الله يحول بَين الْمَرْء وَقَلبه وَأَنه إِلَيْهِ تحشرون﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يخرج الْحَيّ من الْميِّت وَيخرج الْميِّت من الْحَيّ﴾.

وَمن أَنْوَاعه أَن يخرج الْمُؤمن من الْكَافِر وَالْكَافِر من الْمُؤمن وَفِي الحَدِيث الصَّحِيح: "مثل الْبَيْت يذكر الله فِيهِ وَالْبَيْت الَّذِي لَا يذكر الله فِيهِ كَمثل الْحَيّ وَالْميِّت".

وَفِي الصَّحِيح أَيْضا: "اجعلوا من صَلَاتكُمْ فِي بُيُوتكُمْ وَلَا تتخذها قبورا".

وَقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذين كذبُوا بِآيَاتِنَا صم وبكم فِي الظُّلُمَات﴾.

وَذكر سُبْحَانَهُ آيَة النُّور وَآيَة الظلمَة فَقَالَ: ﴿الله نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض مثل نوره كمشكاة فِيهَا مِصْبَاح الْمِصْبَاح فِي زجاجة الزجاجة كَأَنَّهَا كَوْكَب دري يُوقد من شَجَرَة مباركة زيتونة لَا شرقية وَلَا غربية يكَاد زيتها يضيء وَلَو لم تمسسه نَار نور على نور﴾.

فَهَذَا مثل نور الايمان فِي قُلُوب الْمُؤمنِينَ.

ثمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذين كفرُوا أَعْمَالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مَاء حَتَّى إِذا جَاءَهُ لم يجده شَيْئا وَوجد الله عِنْده وفوفاه حسابه وَالله سريع الْحساب أَو كظلمات فِي بَحر لجي يَغْشَاهُ موج من فَوْقه موج فَوْقه سَحَاب ظلمات بَعْضهَا فَوق بعض إِذا أخرج يَده لم يكد يَرَاهَا وَمن لم يَجْعَل الله لَهُ نورا فَمَا لَهُ من نور﴾.

فَالْأول مثل الاعتقادات الْفَاسِدَة والأعمال التابعة لَهَا يحسبها صَاحبهَا شَيْئا يَنْفَعهُ فَإِذا جاءها لم يجدهَا شَيْئا يَنْفَعهُ فوفاه الله حسابه على تِلْكَ الْأَعْمَال.

وَالثَّانِي مثل للْجَهْل الْبَسِيط وَعدم الايمان وَالْعلم فَإِن صَاحبهَا فِي ظلمات بَعْضهَا فَوق بعض لَا يبصر شَيْئا فَإِن الْبَصَر إِنَّمَا هُوَ بنور الْإِيمَان وَالْعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن الَّذين اتَّقوا إِذا مسهم طائف من الشَّيْطَان تذكرُوا فَإِذا هم

مبصرون﴾"اهـ[١].

المعلم الثالث : الدعوة والجهاد .

وذلك في تعامل المسلم مع غير المسلمين!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ.

قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ.

وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى".

ولفظ البخاري : "مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"[٢].

هذا ما تيسر لي، إعداده في هذه الموضوع، والله أسأل التوفيق والهدى والرشاد والسداد، وسبحانك اللهم وبحمد اشهد ان لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك. وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري تحت رقم (٢٧٨٧)، ومسلم تحت رقم (١٨٧٨).